

جمالية الشخصية التاريخية في رواية "ثائر من الجزائر" لعبد القادر قسمية

*The aesthetics of the historical character
in the novel A Rebel from Algeria by Abdelkader kismeya*

أحلام بوزيان

جامعة امحمد بوقرة، بومرداس، (الجزائر)

abouziane@univ-boumerdes.dz

تاريخ النشر: 2024/09/30

تاريخ القبول: 2024/08/23

تاريخ الإرسال: 2024/05/19

الملخص:

تناولت الدراسة موضوع التسريد التاريخي من خلال تيمة الشخصية التاريخية، والتي لعبت دورا بارزا في تجاوز المفهوم النمطي للسيرة الذاتية، مقولبة سماتها الفنية في منظومة نسقية تحاكي الزمكان وفق نظرية الاستحضار، منتشية من لعبة الحكى قوتها ومن زخرفة القول تأثيرها، ما أكسبها صوتا جهوريا في خضم الصراع التاريخي المتشجر من الرواية التاريخية، فنهلت من البطولة بوصفها خليفة المجد، وقوضت الخطاب المناوئ لسيادتها، مشكلة خاصة دفاعية في كتاباتها مزاجية بين الواقعي والمتخيل، ما دفعنا للتساؤل عن جماليات الشخصية التاريخية المسردة، باحثين عن سمات نجاحها في استثمار التاريخ عقب احياء الشخصيات الرائدة، ومدى نفعية الفائدة الجمالية في تحقيق التشويق والاثارة على حساب الوقائع التاريخية، مستعينين برواية "ثائر من الجزائر" لعبد القادر قسمية كنموذج يرشد رؤيتنا النقدية.

الكلمات المفتاحية:

الجمالية، الشخصية، التسريد التاريخي، الرواية التاريخية، ثائر من الجزائر.

Abstract:

The study aims to discuss the topic of historical narration by highlighting the theme of the historical personality, which played a prominent role in transcending the stereotypical concept of biography, molding its artistic features in a coordinate system that simulates space-time according to the theory of evocation, ecstatic from the storytelling game, its power and the decoration of the saying, its influence, which earned it an we were prompted to question the aesthetics of the historical character listed, looking for the features of her success in investing history after the revival of the leading characters «And the extent of the usefulness of the aesthetic benefit in achieving suspense and excitement at the expense of historical facts, using the novel "A Rebel from Algeria" by Abdelkader kismeya as a model that guides our vision.

Keywords:

Aesthetics; character; historical narration; historical novel; A Rebel from.

1. مقدمة:

راجت الرواية وانتشرت، فتشذرت في الأرجاء راصدة الواقع وتقلباته الثقافية والسياسية والاجتماعية والتاريخية، مسخرة جهودها السردية في احكام البناء الفني للشخصية بوصفها محور الأحداث وروح الحكي وركيزة الفضاء الزمكاني، فهي اليد الخفية العاملة على تشفير رؤى وأفكار المؤلف، وهي المجسد لأزمات الإنسان واهتماماته وقضاياه، ما جعلها وسيلة خطابية مناوئة لكل ما يمس بالهوية القومية والسيادة الوطنية بعد أن تسلحت بالشخصيات التاريخية البطولية في عملية التخاطر التاريخي، ما حثنا على اختيار رواية "تأثر من الجزائر" لعبد القادر قسمية نموذجاً يقوض موضوع بحثنا المنطوي تحت جفون جمالية الشخصية التاريخية، بعد أن لمسنا حرباً أدبية وفنية ضروساً خلال العقدين الأخيرين من الألفية الثانية بين الجزائر وفرنسا.

حز في شراييننا رغبة في مطالعة الأحداث الماضية واستحضار الشخصيات الرائدة في تاريخنا التليد، متكئين على رمز قومي من رموز المقاومة المسلحة للكيان الغاشم (الأمير عبد القادر) لما أفرزته الرواية من تعمق في جزائر ما قبل وما بعد الاحتلال، الأمر الذي دفعنا إلى محاولة الكشف عن جمالية الشخصيات المسردة في المتن التاريخي، رغبة منا في رصد الأبعاد الجسمية والنفسية والاجتماعية، ومحاولة فهم انعكاس الشخوص الحقيقية على الشخوص الورقية. وبناء على ما سبق نطرح الاشكال التالي: كيف تجلت جمالية الشخصية التاريخية في رواية "تأثر من الجزائر" لعبد القادر قسمية؟.

2. تحديد المفاهيم

1.2. الجمالية:

الجمال لغة "مصدر الجميل، والفعل جَمَلٌ والجمال بالتجميل يعني أجمل من الجميل"¹. فهو بحث في صفات الحسن والدمامة المتعلقة بموضوع ما بغية تبيان عناصر الجودة فيه. أما اصطلاحاً، فالجمال "هو كل ما يثير الحواس ويلهب المشاعر الإنسانية، وهو مفهوم ينبثق من صلب الإدراك والتصور، يمثل عنصراً مهماً من عناصر الرؤية الفنية، وفي الغالب يؤلف جوانب الشكل والصياغة والبناء والعرض والحصاة العظمى فيما يتعلق بإثارة

الحواس"²، نظير اتصاله بفعل محاكاة الحياة المادية من خلال النقل الجيد لأدق التفاصيل مما يشكل نموذجاً يناظر الواقع.

2.2. الشخصية:

يُعرف لسان العرب الشخصية بكونها كل شيء يشكل جسماً معيناً³، بينما الشخص في "مختار الصحاح" يُعد إنساناً أو غيره ممن يحمل صفة الحيوات⁴، مما يعني ارتفاع الشيء عن الوجود وعلوه وبروزه ككيان قائم بذاته⁵. وبالتالي هي عنصر ثابت في التصرف الإنساني، وما يميز المرء من تعاملاته مع الآخرين، مميزة إياه بخصائص يختلف بها عن سواه⁶.

بينما تعتبر الشخصية السردية محاكية للواقع الإنساني المحيط بكل ما فيه من محاكاة تقوم على المطابقة التامة بين زمني ثنائية: السرد والحكاية، فهي كائن ورقي على حد تعبير "رولان بارت Roland Barthes"⁷، فيتمازج الخيال الفني للروائي بمخزونه الثقافي، لتتوارى الشخصية الحقيقية خلف الشخصية الكتابية لما لها من أدوار ووظائف تقوم بها في العمل⁸. ومن هنا وجب التمييز بين الشخصية الروائية المتخيلة في النص السردية وبين الشخص الروائي مؤلف المصنف الإبداعي، فشتان بين المادة المنتجة وبين المنتج⁹.

3. أنواع الشخصية الروائية

1.3. شخصية البطل:

صاحب الدور الرئيسي، ومحرك لعبة الحكي، تسند له "وظائف و أدوار لم تسند إلى شخصيات أخرى، وغالبا ما تكون هذه الأدوار مفصلة داخل الثقافة و المجتمع"¹⁰، فتدور حوله متغيرات الأحداث وتخدمه العناصر المكملة للسرد من أجل تبيان الموضوعات التي ينبني عليها العمل¹¹.

2.3. الشخصية النامية:

ينموا وجودها داخل المتن السردية ويتطور ، "وتقود إلى الفعل السردية، وتدفعه إلى الأمام في الدراما، أو الرواية أو أية أعمال أدبية أخرى، يتمحور حولها كل من السرد والأحداث، ويتضح هذا النوع من الشخصية تدريجيا، ويطور حوادثها، و يكون تطورها عادة نتيجة لتفاعلها المستمر مع هذه الحوادث، ويكون هذا التفاعل ظاهرا أو خفيا، وتوصف

بالعمق، وبأبعادها الإنسانية المتنامية فكريا وانفعاليا، وبحركاتها الحرة المرنة التي تفاجئ من حولها بما تقدمه من جديد¹²، فتباغت المتلقي من خلال تغير تصرفاتها وتباين طريقة تعاملها لتكشف أبعادها الخفية ومكبوتاتها ودوافع تبدلها¹³.

3.3. الشخصية المحورية:

يشترط فيها أن تكون مركز التحولات النفسية والاجتماعية التي تفرضها الشخصيات الأخرى، دون أن تنتزع لقب الشخصية الرئيسية (البطل)¹⁴، فهي ليست كائنا فعالا في المواقف والأحداث المروية والسند في المقابل، بل عبارة عن مشارك جزئي من الخلفية¹⁵ العامة للمتن السردي، فتربط الأحداث وتحركها حسب حضورها في ثنايا الحكى مساهمة بشكل كبير في تمتين الحبكة الروائية.

4.3. الشخصية المساعدة:

لا تكون "الشخصية المركزية في العمل الروائي إلا بفضل الشخصيات الثانوية التي ما كان لها أن تكون هي أيضا لو لا الشخصيات عديمة الاعتبار"¹⁶ التي أتى بها الكاتب "لتلقي الضوء على تصرفات الشخصية الرئيسية لكي تبدو لنا تصرفاته عفوية وسلوكياتها قابلة للتصديق"¹⁷، وهو ما تحققه الشخصيات الثانوية التي تساهم في بناء الأحداث وتسلسها، مهمتها خدمة الشخصية الرئيسية¹⁸.

5.3. الشخصية المسطحة:

تعرف بتناقضها مع الشخصية النامية، فهي "تحمل فكرة واحدة أو صفة ثابتة على مدى القصة، وليس لها تأثير كبير في أحداثها، وال تتأثر هي كذلك بها، غير أن لها فائدة كبيرة يتوخى الكاتب من حضورها في قصة، لما لها من تأثير في المتلقي، كونها شخصية مكمل، و بالرغم من ذلك فهي التي تدهش القارئ بأغلب أفعالها في الرواية أو القصة، فليس لحضورها من مفاجآت أو ما يحتاج إلى تفسير أو تحليل، غير أن تأثيرها غالبا ما يكون في نمو شخصيات أخرى، ذلك أنها قد تلقي الضوء عليها، ومن خلال علاقاتها تكتمل الأحداث"¹⁹، فدورها ثابت في عملية الحكى، تتميز بالمحافظة على مبادئها وتصرفاتها فلا تعارض طبيعتها الأولى التي ظهرت بها، تعبر على البساطة وعدم الولوج في الأعماق النفسية والاجتماعية، مختصرة دورها على تحريك دورة الحبكة²⁰.

6.3. الشخصية النموذجية:

تهدف إلى تبيان مبادئ وسلوكيات فئة معينة، فتتحوا نحوهم معبرة عن انتماءاتهم بغرض فضح المذاهب والتيارات على اختلاف أنواعها²¹.

7.3. الشخصية المغيبة:

تحضر هذه الشخصية في متون السرد بشكل عارض، كأن يتم ذكرها على لسان إحدى الشخصيات الثانوية، دون أن تعطى لها أي أهمية، فلا يتم التطرق إلى أفعالها وتصرفاتها وطبيعتها، بل تحتفظ بوجودها المغيب المفروض من لدن الظروف السردية²²، فهي أشبه بالشخصية الإشارية التي تتجاوب مع مقتضى الحال السردية واصله بين الناطق والمنطوق²³.

4. التسريد التاريخي

1.4. الشخصية التاريخية:

تطرق جورج لوكاش Lukács Georg في كتابه "الرواية التاريخية" إلى الشخصية التاريخية واصفا إياها بالشساعة والاتساع، فهي "قادرة على أن تعيش نفسها في الخارج بشكل كامل بوصفها كائنا انتمائيا، وعلى أن تعرض بحرية كل صفاتها الرائعة و التافهة، ومع ذلك فمكانتها في الحدث هي على نحو لا نستطيع معه إلا أن نتصرف وتعبّر عن نفسها في مواقع ذات أهمية تاريخية، إنما تتجزأ هنا تعبيراً عن شخصها متعدد الجوانب وكاملاً، ولكن ليس إلا بقدر ماهي مرتبطة بأحداث التاريخ الكبيرة"²⁴، كما اعتبرها ممثلاً حركياً مهماً ذا مغزى، فتضم أقساماً كبيرة من السكان، خادمة عاطفته العظيمة وهدفه الشخصي مما يتوافق مع النضالات الشعبية²⁵، لأن الرواية التاريخية "تُزَوج عادة بين الشخصيات التاريخية والشخصيات المتخيلة، إلا أن المرء لا يقف فيها عند هذا الحد، وإنما يتجاوزه إلى ظاهرة أخرى هي استناد أعمال تاريخية محل يتقاطع في التاريخي و الروائي"²⁶، مُسهماً في تخليد أسماء تاريخية وفي الاقتداء بأبطال ملهمين متخيلين أو حقيقيين يُتخذون كقدوة يُحتذى بها، ومرجعية يعودون إليها حين تتقاطع الأحداث التاريخية وتعاود الظهور من جديد في حقب زمنية أخرى تواكب روح العصر.

اعتبرت الشخصية التاريخية "كائنا حيا له وجود ميتافيزيقي، فتوصف ملامحها، قامتها، صوتها وملابسها ومهنها وسنّها وأهواؤها، وهواجسها وآمالها، وسعادتها وقسوتها، ذلك بأن الشخصية كانت تلعب الدور الأكبر في أي عمل روائي يكتبه كانت رواية تقليدية (بلزاك، اميل زولا، نجيب محفوظ)، ويبدو أن العناية الفائقة برسم الشخصية أو بنائها في العمل الروائي، كان له ارتباط بهيمنة النزعة التاريخية والاجتماعية من جهة وهيمنة الإيديولوجيا من جهة أخرى"²⁷، وهو ما يسمح بتسميتها أيضا بالشخصية النموذجية لأنها تستحضر الماضي وتعيد تجسيده على أرض الواقع مُخلدة تاريخ الشعوب وأصالتهم، مُتخذة من وظيفتها النصحية سبيلا لتكوين جيل واعٍ يفتدي بأسلافه الأبطال.

2.4. الرواية التاريخية:

تمثل الرواية التاريخية أي شكل سردي يُقدم وصفا دقيقا لحياة بعض الأجيال²⁸، إذ يعتبرها "بيكر" Baker كل عمل سردي يتناول عادات بعض الناس ومعتقداتهم بلغة حديثة تصف غزواتهم ونضالاتهم وتخلد ماضيهم، كونها "تشير إلى الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق بالذات"²⁹، فتثير الحاضر وتُقومه بالعودة إلى الماضي ما يؤهلها لأن تكون "جوهر العمل الروائي الأكثر عمقا عن ذاته في السؤال التالي: ما هو الإنسان؟"³⁰، فتفصح عما يشكل هواجسا بالنسبة له وتؤلهه لأن يستجمع قدراته ويواصل المسير على درب أسلافه بقوة وعزم وثبات، بعد أن ساعده السرد التاريخي على ذلك.

يعود الفضل إلى الصور المتخيلة التي ينتجها الروائي بفعل القدرات الواسعة التي يتمتع بها، والتي "يستطيع معها تجاوز حدود التاريخ لكن على شرط أن لا يستقر هناك فترة طويلة إلا إذا كان جزء من البناء الذي يستقر فيه التاريخ"³¹، فتتراسل الشخصيات التاريخية جيلا بعد جيل وتنتظر للحفاظ على الموروث الإنساني في قالب تخيلي مشوق يبعث المتلقي على التشبث بماضيهِ واستغلال مستقبله دون أن يتوه في متاهات الوجود والبحث عن حقيقة أصوله، فتستغل الوثيقة التاريخية في توليد نصوص إبداعية تكاد تكون أشبه بسجل يحفظ النمط الحياتي والنضالي والأسطوري لبعض الشعوب التي ما فتئت تبحث عن العزاء العاطفي لبناء بداية جديدة من مخلفات الظروف التاريخية.

5. ببليوغرافيا الكتاب

1.5. حول تكوين الرواية:

الرواية من تأليف: "عبد القادر قسمية"، نشرت من لدن "دار النفاس" اللبنانية في طبعتها الأولى عام 2015م، تتكون من 190 صفحة موزعة على ثلاثة أقسام، يضم الأول منها: "رحلة الحج من الجزائر إلى أرض الحجاز، دار السلام بغداد، دمشق الفيحاء، والقاهرة المحروسة"، ويحوي الجزء الثاني منها: "بداية النضال بعد هجمة الاستعمار ومبايعة القبائل والحواضر"، بينما يجمع الجزء الثالث مواضيع شتى، وهي كالاتي: "خلوة السجن في أرض فرنسا، رحلة الافراج نحو المشرق، التدريس والتأليف في دمشق، فتنة جبل لبنان والشام، وآخر أيام الصالحية". مواكبا بواسطته نموذج كتابة السيرة الذاتية من جهة وأسلوب التسريد التاريخي من جهة أخرى.

2.5. ملخص الرواية:

تدور أحداثها عن رمز المقاومة الجزائرية: "الأمير عبد القادر" الراض للاستعمار والمناوئ له بالعدة والعتاد مؤسساً عاصمة دولته: "الزمالة" (معسكر حالياً)، فقسم الروائي عمله إلى ثلاثة أقسام، ابتدأها بالحديث عن السيرة التعليمية للأمير، منطلقاً من تدرجه في قرية "قيطنة" بالغرب الجزائري واشراف والده "محي الدين" على نشأته النخبوية حتى بلوغ المرحلة الثانوية، حيث أرسله إلى وهران ليواصل تعليمه هناك. وبعد رجوعه أتقن ركوب الخيل والفروسية ومقارعة السيوف وحفظ القرآن الكريم وتوسع في مرامي الشريعة الإسلامية، ليُتاح أمامه زيارة بيت الله الحرام رفقة أبيه سنة 1825م، متقللاً بين بغداد ودمشق والقاهرة، ورغم معارضة "محي الدين" لسياسة داي الجزائر الاستبدادية وتعرضه للمضايقات من السلطات العثمانية العليا التي فرضت عليه الإقامة الاجبارية إلا أنه عاد لأرض الوطن بمجرد سماعه بالخطط الاستعمارية التي تُعدّها فرنسا لاستيطان الجزائر.

انتقل للحديث عن السيرة الحربية للأمير في الجزء الثاني من الرواية، واصفا تحاشد القبائل حول الأمير ومبايعته نحو قيادة الجيوش ضد الاحتلال بعد معركة "سيدي فرج" وتسليم مفاتيح العاصمة من قبل الداي، معرجا على معاهدة "التافنة" التي وقعها مع الجنرال "بيجو" بعد أن ضاقت به السبل وتفرقت به الأسباب وأوصدت أمامه الطرق، فسلم "الأمير" نفسه مقابل وقف النهب والسلب والسيب. لكن ذلك لم يجد نفعا مع السلطات الفرنسية التي واصلت التوسع والإبادة.

توسع في آخر جزء من الرواية إلى وصف السيرة الفكرية والإنسانية للأمير بعد 1849م، معرجا على آلام سجنه في مدينة "طولون" رفقة أهله وأتباعه إلى أن سقط عهد الملك "فيليب السادس عشر" وتحولت فرنسا إلى دولة ديمقراطية، فتحت أمامه باب الهجرة إلى مدينة "بورديو" ومن ثم ارتحل إلى دمشق التي اختار المكوث بها إلى أن وافته المنية سنة 1883م تاركا ورائه دواوين ومؤلفات فكرية وإسلامية وأتباعا تشربوا من رؤاه المعرفية وبسالته الحربية وآماله باسترداد الحرية.

6. جمالية الشخصيات التاريخية في الرواية

1.6. شخصية الأمير عبد القادر:

تعتبر شخصية رئيسية مبهرة تمثل دور البطل الذي تجتمع فيه صفات الشجاعة والنبيل والمروءة والإخلاص والذود عن حما الوطن ونصرة المظلوم والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل الشعب المفدى، مصورة نموه منذ الصبا إلى وفاته، بعد أن تشذرت عنها بعض التيمات الرئيسية التابعة لشخصيته.

1.1.6. التيمة الدينية :

جسد دور المسلم المؤمن الثابت على مبدأ الحق، وهذا ظاهر في قوله: "طول المسير كنت أناجي رب العالمين أن يهني التدبير وأني لا أرى غير التسليم لقضائه"³²، فبدا متمسكا بالقنديل الرباني لبلوغ الهدى ونور الحق وتحقيق العدالة والحرية، وهو ما تجلى كذلك من خلال حفظه القرآن الكريم فتيا واتباعه مناسك الحج شابا يافعا، فلم تغرنه ملذات الدنيا وأهواءها وانقاد وراء التقوى والجهاد في سبيل الله³³.

2.1.6. التيمة الأخلاقية :

بدأت أخلاقه الراقية بارزة في تعاملاته مع الآخر، فهو البار بوالدته المُشغل بصحتها وعافيتها، لذا يُكلم أباه بضرورة طمأننتها قائلاً: "أمر كهذا لا يُمكن أن يُنسى، فوالدتي الحاجة الزهراء والأهل يجب أن يطمئنوا على أحوالنا ولقد أخبرته بمجرد أن يصل إن شاء إلى الجزائر أن يُبلغهم أننا في أحسن الأحوال"³⁴، كما يبدوا تحاوره مع الجنرال "بيجو" راقياً ومُحترماً دلالة على شهامته وحُسن تربيته، إذ يقول: "السلام على حضرة الجنرال (...) أنا لم أقم إلا بواجبي الذي يُمليه علي الدين والإنسانية"³⁵. مُبرزاً سموه في تحقيق التواصل مع الأجنبي حتى لو كان عدواً، مُتمتعاً بحس إنساني يرقى إلى مصاف الإنصاف البشري.

3.1.6. التيمة العلمية :

لا طالما ولع الأمير بالتزود بالمعرفة، فما هو يخاطب أباه "محي الدين" قائلاً: "يا أبي هدفنا أخذ العلم إلا منك ومن الذين تتلمذوا على يدك في قريتنا، وسفري إلى وهران للدراسة ساعدني أيضاً ووسع مداركي وشاهدت أقواماً وأجناساً مختلفة هناك"³⁶، على غرار ولعه بالشعر وحفظه له، بل ونظمه أبياتا لزوجته جاء فيها:

"تساءلني أم البنين وإنها
لأعلم من تحت السماء بأحوالي
ألم تعلم يا ربة الخدر أنني
أجلى هموم القوم في يوم تجوالي
أدافع عنهم ما يخافون من ردى
فيشكر كل الخلق من حسن أفعالي"³⁷

2.6. شخصية الشيخ محي الدين:

والد الأمير "عبد القادر" ومعلمه والساھر على صلاحه واستقامته، جسد دور شخصية محورية ساهمت في ربط الأحداث بعضها ببعض وبلورتها وفق ما يخدم حبكة العمل الروائي، ورغم مكانته الثانوية في المتن السردي إلا أن له تيمات التصقت بشخصيته.

1.2.6. التيمة الدينية:

بدا متمسكا بالدين الإسلامي وحارصا على إقامة تعاليمه بتفانٍ، فقد أتم أركان الإسلام بزيارته للكعبة الشريفة التي لا طالما تمنى أن يطوف حولها، يقول مخاطبا الأمير وهما يؤديان مناسك الحج: "تمنيت دوما يا بني "عبد القادر" أن أقضي ما تبقى من عمري بجوار هذا المكان الطاهر أتعبد وأسموا بروحي في هذا الفضاء حتى ألقى ربي في أحسن صورة"³⁸، فأضفى ثقاه والتحامه بالقبس الرباني شعلة في نفس ولده ودفعه للاقتداء به والسير على خطاه، فكان نعم سلف لخير خلف.

2.2.6. التيمة الأخلاقية:

تجلت في تجسيده دور الأب المربي والداعم لابنه كي يتفتق وهجا صادحا بالحق ومجاهدا، يخاطبه بود فيقول: "كم أفتخر بك يا بني وبسحر حديثك منذ كنت صغيرا ، ألا يتوقف لسانك وترجمانك عقلك عن السؤال قصد المعرفة، ولقد سررت أيما سرور عندما رأيته تشارك في كل حلقة من حلقات الدين والمعرفة"³⁹.

ويصل به التعلق لدرجة التنازل له في مباحته، حيث تواني أن يكون مكان ولده، فيقول لزوجته: "يا زهراء أنا لم أرفض المبايعة تقاعسا مني، والأمر تكليف وليس تشريف، ولكن "عبد القادر" أقدر مني على ذلك فهو من أحيا نفوس الناس بعد عاجل الضعف والهوان. وأنت يا حجة أترضين أن يبقى "عبد القادر" مُعتكفا فقط على الكتب والمعاجم؟". فبزغ تقديره وحرصه على تحقيق الريادة للأمير أكثر حرصا منه على نفسه، بسبب إيمانه المطلق في معارفه وأساليبه وأخلاقه.

3.2.6. التيمة العلمية:

تميز بنظرة حاذقة للمستقبل وبأسلوب سياسي يتمشى مع الخطط الحربية، فوظف ما اكتسبه من علوم ومعارف في مساندة ابنه في قضيته التحررية المناهضة للاستعمار الفرنسي، فيشي بأفكاره الفاضحة لنوايا العدا ويحذر ابنه قائلا: "هي دعوة مباركة يا بني أن تجمع على أمر واحد، في الوقت الذي يريد المستعمر أن لا يكون لدينا عمل منظم في البلاد أبدا، ويسعى أن نبقي في بلاء وضعف وشقاق وحيرة (...). إن دوري الآن هنا على منبر هذا الجامع وبين الناس واعظا لهم ومُرشدا بالكلمة لأجل الدفاع وتحرير الوطن"⁴⁰ فهي هو

يُهون عنه وطأة الخيانة وعدم استجابة القبائل الأخرى لنداء الأمير، وفشها في الالتزام جنبا إلى جنب مع المقاومة المسلحة.

3.6. شخصية الحاجة زهراء:

والدة الأمير "عبد القادر" وزوجة "الشيخ محي الدين"، تميزت شخصيتها المساعدة بطغيان التيمة الاجتماعية، حيث عاشت حياة اجتماعية تقليدية محكومة بالعرف الذكوري، رغم ذلك احتضنها زوجها وابنها البار في كنف ديني إسلامي يتماشى مع بعض الأسر الجزائرية المتمسكة بالقضايا النخبوية التي تحتم عليها قرارات مصيرية تجبرها على الصبر، وهو ما حصل لها عقب مفارقة بعلها وبكرها إلى البوادي بغية تعلم الفروسية، تقول: "كنت أفقد "عبد القادر" واخوته عند مرافقة الحاج "محي الدين" خارج القرية نحو البوادي لتعلم الفروسية"⁴¹، على غرار مشاعر الأمومة والحنين التي غلبتها في قولها: "أني اشم ريح عبد القادر"⁴² دلالة على الشوق والحنين الجسيم إليه لدرجة تتماهى في اقتباس الود العميق ليعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام.

4.6. شخصية خيرة:

شخصية ثانوية مساعدة جسدت زوجة الأمير، عاشت رفقة حماتها في البيت العائلي الكبير، ولقد كانت على خلق وأخلاق حسنة دفعت بالحاجة "زهراء" لمساواتها في الكفة نفسها لابنها، إذ راحت تقول: " هذه خيرة بنيتي أيضا، وهي عون لي. أسعد كثيرا أنها تتاديني أمي"⁴³، غير أن الحنان والعطف الحماوي لم يثن "خيرة" عن الفراغ الوجداني الذي لازمها منذ أن فارقها زوجها، لكنها وجدت متنفسها بالفضفضة للحاجة "زهراء" كلما هاج صدرها، تقول: "أمي الزهراء أود أن اشرك على سعة صدرك فلقد غمرتني بلطفك طيلة غياب عبد القادر"⁴⁴.

5.6. شخصية أبو الطالب:

أخ الشيخ "محي الدين" ووالد "خيرة" زوجة الأمير ، يُعد شخصية محورية هامة في العمل الروائي إلى جانب شقيقه، إذ سند الأمير في نضاله وأمسك بزمام أسرته ووثق حبالها، فكان ذا صلة وطيدة بالحاجة "زهراء"، وحريصا في تعامل ابنته مع حماتها بشكل يليق بمكانتها وتربيتها، يقول موصيا إياها: "خيرة يجب أن تسهري على راحة أم عبد القادر، فإن

6.6. شخصية الملك شارل:

7.6. شخصية الدوق أوريان فيليب:

8.6. شخصية الجنرال تريزال:

القادر وجيشه في أي لحظة، الفيلق الأول من جيش القبائل التي تكون معنا في المقدمة ومهمتها إطلاق النار، أما المدفعية في مكانها، تبدأ عملها عند اقتراب الهجوم علينا، عليهم ألا يتقدموا أبداً، هيا استعداداً⁵¹، وبعد أن تكبد هو وجنده مرارة الخسارة أكثر من مرة على يد جيش الأمير، حين ضحى بجيش القبائل المناوئة للمقاومة الجزائرية والمؤازرة للقوى الاستيطانية، استعان بخطط إجرامية غير مشروعة، محرقا الغابات ومبيدا الحيوانات وقاطعا الأرزاق على الفلاحين وأصحاب البوادي، وسابي النساء وقاطفا أرواح الأبرياء من الشيوخ والأطفال⁵².

9.6. شخصية الحاكم دامريمون:

يُمثل القائد الأول للقوة الفرنسية ضد الجزائري، وهو شخصية سطحية كلّفت بإعداد العدة من أجل الظفر بالأرض الجزائرية، فضيق الحصار على جُند الأمير مستغلا الضعاف ممن بقوا في الحواضر والقرى لتجويعهم وابتدئهم وتضييق الحصار عليهم، إذ هدف إلى استغلال العاطفة الإنسانية لدى الأمير بتحسيسه بتأنيب الضمير وبأنه المتسبب في هلاكهم، غير مُبالٍ بالطرق الشنيعة الفظيعة القامعة. فلعب دورا بارزا في تحريك عملية الحكي في القسم الثاني من النص الروائي⁵³.

10.6. شخصية الضابط الفرنسي:

يُعد شخصية ثانوية سطحية، لكنه بدا شديد الاطلاع على تفاصيل الحرب، وكان دائما ما يتفطن إلى تفاصيل مهمة تتجع الحرب، يقول مخاطبا الجنرال "تريزال": "سيدي الجنرال إن الجند التي تحرس المكان من القبائل قد تُفقد أن هناك مجموعة من الأهالي تتجمع على سهل الهبرة، يُرجح أن يكونوا قطاع طرق أو مجموعة عبد القادر"⁵⁴ مما يمنحه صفة الفطنة والدهاء، رغم ذلك يحرص على مجاملة سيده كي يرضى عنه ويُرقيه، فلا يكتفٍ من مدحه قائلا: "أحسننت صنعا سيدي الجنرال سيكون جيش القبائل درعنا الحصين"⁵⁵.

7. خاتمة:

صب الكاتب اهتمامه على شخوص واقعية مُستمدة من التاريخ، مُضيفا لبعضها تفاصيل دقيقة تكسيها ملامحا خاصة بها، تُميزها وتكمل بناءها ليس لمجرد الكتابة فقط، بل من أجل تجاوز وظيفة التأليف إلى غاية الجمالية الفنية التي لمسناها في ثنايا الشخوص التاريخية المؤثرة لرواية المقاومة الجزائرية للأمير عبد القادر، فتوحدت البنى الثانوية والسطحية والنامية لترصص الهيكل السردي الروائي للشخصية الرئيسية وخدمت الرؤية الجمعية للبطل المناضل في سبيل استرجاع الأرض المُنتهكة من لدن السلطات الفرنسية. فتحوّلت بذلك الوثيقة التاريخية لمقاومة الأمير عبد القادر إلى رؤية إبداعية فنية مزجت بين مبدأ المقاومة الثقافية وبين تسريد التاريخ، خدمت الوعي الجمعي الجزائري وخلدت محطة مهمة من التاريخ.

استطاعت الرواية الجزائرية المعاصرة (رواية "تأثر من الجزائر" نموذجا) مواصلة مهمة الالتزام الأدبي، فبلغت الرسالة الوطنية وأدت الأمانة التاريخية للأجيال القادمة بمصدقائية، مُتطرفة إلى عمق الواقع الاجتماعي إبان فترتي الحكم العثماني وبداية الغزو الاستعماري من خلال أفعال وتصرفات الشخوص المُكونة للعمل، كما أبرزت دور المرأة في الثورة التحريرية وأوجدت لها مكانا في صفحات التاريخ، فهي الأم العطوف المربية، وهي الزوجة الحنون الصابرة المرابطة، كما وثقت العلاقة الأسرية الوثيقة بين العائلة الجزائرية، مُبينة دور العم والحماة والمُعلم القرآني في ترسيخ المبادئ الأسرية. وعرجت أيضا على أسمى السمات الأخلاقية والدينية والإنسانية التي حولت الأمير عبد القادر إلى بطل قومي، فاضحة الخطاب الاستعماري والرؤى العنصرية المبنية على ثنائية المركز والهامش، الأنا والآخر، السيد والعبد، المستعمر والمستعمر، كاشفة أبعاد الاستراتيجية الامبريالية المترتبة على حرب الغايات.

8. الهوامش:

- ¹ ابن منظور، لسان العرب، 1997، ط01. بيروت، لبنان، دار صادر للطباعة والنشر، ص 304.
- ² العالي إبراهيم، الجمال في الفكر الإسلامي، 1993، دط. بيروت، لبنان. دار المنتخب العربي، ص 18.
- ³ ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة "شخص"، ص 206.
- ⁴ ينظر، الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد الله، مختار الصحاح، 2007، ط01. عمان، الأردن، دار الفكر. ص157.
- ⁵ ينظر، ابن زكريا أبو الحسن فارس، مقاييس اللغة، تح: هارون محمد عبد السلام، 1979، ج03، دط. عمان الأردن. دار الفكر، ص 254.
- ⁶ ينظر، جبور عبد النور، المعجم الأدبي، 1979، ج2، ط1. دار العلوم للملايين، بيروت، لبنان، ص 54.
- ⁷ ينظر، يوسف آمنة، تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق، 2015، ط02. بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص72
- ⁸ ينظر، المرجع نفسه، ص36
- ⁹ ينظر، زيتوني لطيفة، معجم مصطلحات نقد الرواية "عربي، انجليزي، فرنسي"، 2002. ط01، بيروت، لبنان، دار النهار، ص 114.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص114.
- ¹¹ ينظر، حمدان محمد صايل، قضايا النقد الحديث، 1991، ط01، عمان، الأردن، دار الأمل، ص 76.
- ¹² البناء بان، البناء السرد في الرواية الإسلامية المعاصرة، 2008، ط01. عمان، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد للنشر، ص 70.
- ¹³ ينظر، المصري محمد عبد الغني، البرازي محمد الباكير، الفكر القرآني: تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، 2002، ط01. عمان، الأردن، دار الوراق، ص178.
- ¹⁴ ينظر، لوكاتش جورج، دراسات في الواقعية، تر: جواد صالح كاظم، 1987، دط. بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية، ص 29.
- ¹⁵ برنس جيرالد، قاموس السرديات، تر: إمام السيد، 2003، ط01. القاهرة، مصر، ميريت للنشر والمعلومات، ص 159.
- ¹⁶ مرتاض عبد المالك، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، 1993، دط. الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص83.
- ¹⁷ المصري محمد عبد الغني، البرازي مجد محمد الباكير، الفكر القرآني: تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، ص 159

- ¹⁸ ينظر، شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية القصيرة، 1998، ط01. دمشق، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 122.
- ¹⁹ البنا بان، البناء السرد في الرواية الإسلامية المعاصرة، ص23.
- ²⁰ ينظر، بورنوف رولان، عالم الرواية، تر: تركلي نهاد، 1991، ط01. بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، ص144.
- ²¹ ينظر، لوكاتش جورج، دراسات في الواقعية، ص28.
- ²² ينظر، الموساوي محسن حاسم، الرواية العربية: النشأة والتحول، 1989، ط01. بغداد، العراق، مكتبة التحرير، ص43.
- ²³ ينظر، الأحمر فيصل، معجم السيميائيات، 2010، ط01. الجزائر، الدار العربية للعلوم، ص114.
- ²⁴ لوكاتش جورج، الرواية والتاريخ، تر: كاظم صالح جواد، 1978، دط. بيروت، لبنان، دار الطليعة، ص51.
- ²⁵ ينظر، المرجع نفسه، ص 21.
- ²⁶ القاضي محمد، معجم السرديات، 2002، ط01. بيروت، لبنان، دار النهار للنشر والتوزيع، ص47.
- ²⁷ مرتاض عبد المالك، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، ص ص 71، 72.
- ²⁸ ينظر، الشمالي نضال، الرواية والتاريخ: بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، 2006، ط01. عمان، الأردن، جدار الكتاب العلمي للنشر والتوزيع، ص 114.
- ²⁹ المرجع نفسه، ص 111.
- ³⁰ لوكاتش جورج، الرواية والتاريخ، ص89.
- ³¹ دراج فيصل، الرواية وتأويل التاريخ-نظرية الرواية وكسر التاريخ، 2016، ط02. الجزائر، دار النعمان، ص 113.
- ³² قسمية عبد القادر، ثائر من الجزائر، 2015، ط01. بيروت، لبنان، دار النفائس، ص 149.
- ³³ ينظر، المصدر نفسه، ص ص 60، 61.
- ³⁴ المصدر نفسه، ص 32.
- ³⁵ المصدر نفسه، ص 188.
- ³⁶ المصدر نفسه، ص 20.
- ³⁷ المصدر نفسه، ص 97.
- ³⁸ المصدر نفسه، ص 19.
- ³⁹ المصدر نفسه، ص 20.

40 المصدر نفسه، ص ص 68، 69.

41 المصدر نفسه، ص 27.

42 المصدر نفسه، ص 22.

43 المصدر نفسه، ص 27.

44 المصدر نفسه، ص 13.

45 المصدر نفسه، ص 22.

46 المصدر نفسه، ص 23.

47 المصدر نفسه، ص 46.

48 المصدر نفسه، ص 47.

49 المصدر نفسه، ص 47.

50 المصدر نفسه، ص 46.

51 المصدر نفسه، ص ص 75، 76.

52 ينظر، المصدر نفسه، ص 79.

53 ينظر، المصدر نفسه، ص 76.

54 المصدر نفسه، ص 73.

55 المصدر نفسه، ص 73.

9. قائمة المراجع:

1.9. قائمة المراجع العربية:

- البنا بان، البناء السرد في الرواية الإسلامية المعاصرة، 2008، ط01. عمان، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد للنشر.

- الشمالي نضال، الرواية والتاريخ: بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، 2006، ط01. عمان، الأردن، جدار الكتاب العلمي للنشر والتوزيع.

- العالي إبراهيم، الجمال في الفكر الإسلامي، 1993، دط، بيروت، لبنان. دار المنتخب العربي.

- المصري محمد عبد الغني، البرازي محمد الباكير، الفكر القرآني: تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، 2002، ط01. عمان، الأردن، دار الوراق.

- الموساوي محسن حاسم، الرواية العربية: النشأة والتحول، 1989، ط01. بغداد، العراق، مكتبة التحرير.
- حمدان محمد صايل، قضايا النقد الحديث، 1991، ط01، عمان، الأردن، دار الأمل.
- دراج فيصل، الرواية وتأويل التاريخ-نظرية الرواية وكسر التاريخ، 2016، ط02. الجزائر، دار النعمان.
- شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية القصيرة، 1998، ط01. دمشق، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- قسمية عبد القادر، ثائر من الجزائر، 2015، ط01. بيروت، لبنان، دار النفائس.
- مرتاض عبد المالك، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، 1993، دط. الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- يوسف آمنة، تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق، 2015، ط02. بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

2.9. قائمة المعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب، 1997، ط01. بيروت، لبنان، دار صادر للطباعة والنشر.
- ابن زكريا أبو الحسن فارس، مقاييس اللغة، تح: هارون محمد عبد السلام، 1979، ج03، دط. عمان الأردن. دار الفكر.
- الأحمر فيصل، معجم السيميائيات، 2010، ط01. الجزائر، الدار العربية للعلوم.
- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد الله، مختار الصحاح، 2007، ط01. عمان، الأردن، دار الفكر.
- القاضي محمد، معجم السرديات، 2002، ط01. بيروت، لبنان، دار النهار للنشر والتوزيع.
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، 1979، ج2، ط1. دار العلوم للملايين، بيروت، لبنان.
- زيتوني لطيفة، معجم مصطلحات نقد الرواية "عربي، انجليزي، فرنسي"، 2002. ط01، بيروت، لبنان، دار النهار.

3.9. قائمة المراجع المترجمة:

- برنس جيرالد، قاموس السرديات، تر: إمام السيد، 2003، ط01. القاهرة، مصر، ميريت للنشر والمعلومات.

- بورنوف رولان، عالم الرواية، تر: تركلي نهاد، 1991، ط01. بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة.

- لوكاتش جورج، دراسات في الواقعية، تر: جواد صالح كاظم، 1987، دط. بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية.

- لوكاتش جورج، الرواية والتاريخ، تر: كاظم صالح جواد، 1978، دط. بيروت، لبنان، دار الطليعة.